

المقاومة الشعبية في الجزائر 1830-1871، مقاومة المقراني أنموذجا

The popular resistance in Algeria 1830-1871, the resistance of al-Maqrani as a model

كوثر هاشمي*

جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)

kaouther.hachemi@univ-guelma.dz

تاريخ الاستلام: 31/12/2022 تاريخ القبول: 2023/04/20

● الملخص:

شهدت الجزائر في القرن التاسع عشر العديد من المقاومات الشعبية المسلحة، التي كانت تهدف في مجملها لرد العدوان الاستعماري الفرنسي على أرض الجزائر وبالرغم من أن الهدف المسطر من قبل هذه المقاومات الشعبية مشتركا وموحدا ممثلا من نيل الحرية والاستقلال، إلا أنها تميزت بخصوصيات كل واحدة منها، وتعتبر ثورة المقراني 1871 التي قامت في منطقة مجانة بـبرج بوعريـريـج، أنها كانت ثورة ذات أبعاد اقتصادية قامت برد الاعتبار لعائلة المقراني ورفع الخبن على الأهالي البسطاء التي أثقلت السلطات الفرنسية كاهلهم بالضرائب رغبة منها في تجريدهم من أراضيهم وممتلكاتهم، وإن لم تحقق هذه الثورة الهدف المسطر لها إلا أنها كانت نموذجا للمقاومة من أجل الأرض ومن أجل السيادة اهتدت بها عديد الثورات الشعبية التي تلتها.

كلمات مفتاحية: الثورات الشعبية، ثورة المقراني، منطقة القبائل، البشاغا محمد، السلطات الاستعمارية.

Abstract:

In the nineteenth century, Algeria witnessed many armed popular resistances, which were aimed in their entirety at repelling the French colonial aggression on the land of Algeria. The Moqrani Revolution of 1871, which took place in the Magana region of Bordj Bou Arreridj, is considered to have been a revolution of economic dimensions that restored the dignity of the Moqrani family and lifted the shame on the simple people whom the French authorities burdened with taxes, desiring to strip them of their lands and properties, even if this revolution did not achieve its goal. However, it was a model of resistance for the sake of land and for sovereignty, which guided many of the popular revolutions that followed.

Keywords:

Popular revolutions, Al-Maqrani revolution, the tribal region, Al-Bashagha Muhammad, the colonial authorities.

● مقدمة:

عرفت الجزائر بداية القرن 19 تحولات سياسية أثرت على جميع ميادين الحياة بسبب انهيار الحكم العثماني من جهة وتعرضها للاستعمار الفرنسي من جهة أخرى بعد توقيع معاهدة الاستسلام في 5 جويلية 1830، وفي ظل هذه الظروف العصيبة التي مرت بها الجزائر، سارع رجال الدين والمتصوفة وزعماء بعض الأسر، الكبرى إلى حمل لواء الجهاد في سبيل إخراج فرنسا من الأراضي الجزائرية، وقد تلقت المقاومات الشعبية دعماً دينياً وشعبياً كبيراً، ما مكّنها من الانتشار في جميع الأراضي الجزائرية خاصة منطقة القبائل والتي عرفت ثورة تعد أحد أهم الثورات على الإطلاق وهي ثورة المقراني سنة 1871 والتي سماه الفرنسيون ثورة بلاد القبائل والتي تميزت بالشمولية ومبدأ القيادة الجماعية.

انطلاقاً مما سبق نطرح التساؤلات التالية:

- كيف كانت أوضاع الجزائر قبل انتفاضة 1871؟
- ما هي الأسباب الكامنة وراء قيام ثورة 1871 التي عرفت بثورة القبائل؟
- من هي الاعراش والقبائل الجزائرية التي دعمت ثورة المقراني؟
- كيف واجهت ثورة المقراني الاحتلال الفرنسي وكيف ردت السلطات الفرنسية على هذه الثورة التي أطلقت عليها اسم ثورة القبائل؟

1. سياسة فرنسا الاستعمارية 1830-1871:

1.1 الغزو والاستيطان:

كانت بلاد القبائل منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر تمثل ملجأً للثائرين على فرنسا، الأمر الذي دفع فرنسا إلى المسارعة إلى بسط نفوذها وسيطرتها على هذه المنطقة في مطلع الخمسينات من القرن التاسع عشر.¹

ولما تولى المارشال (كلوزيل) الحكم سنة 1835 جاء على لسانه أثناء مناقشة ميزانية سنة 1835 "كي نعوض تكاليف الاحتلال ونجعله غير مضر بنا اقتصادياً يجب أن نستعمر هذا البلد" حيث رأى انه يجب إيجاد إستراتيجية لبناء اقتصاد فرنسي قوي.²

مشجعاً بذلك عملية الاستيطان التي عرفت نشاطاً متزايداً في عهد الجنرال (بيجو) الذي اتبع سياسة مصادرة الأراضي، حيث ادعى (بيجو) أنه من حق أي فرنسي امتلاك أجدود الأراضي دون الاهتمام بملكية الأرض.³

¹ - يحي بو عزيز، ثورة 1871 دور عائلي المقراني والحداد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1975، ص 17.

² - صالح حير السياسة العقارية الفرنسية في الجزائر 1830 - 1930، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه، قسم التاريخ وعلوم الآثار، جامعة الحاج لخضر، باتنة الجزائر 2013-2014، ص 62.

³ - فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة أبو بكر جال، منشورات شركة ANEP، الجزائر، 2005، ص 75.

ولتمديد مستوطناتهم في المواقع الإستراتيجية عملت السلطات الفرنسية على تهجير الأوربيين إلى الجزائر على متن سفنها إلى كل المناطق التي وقعت تحت سيطرتها فقد أنشأت الإدارة الفرنسية في الفترة الممتدة من 1848-1850م أكثر من 42 قرية خاصة بالمستوطنين.¹

ولتعزيز هذه السياسة الاستيطانية أصدرت السلطات الفرنسية عدة مراسيم على رأسها مرسوم 1850 لشجيع الفلاحة، والذي ينص على أن يمنح بنك الجزائر قرض لكل معمر مالك للأرض دون مقابل على عكس الجزائريين الذين فرضت عليهم فوائد وضرائب كبيرة.²

ولتنشيط عملية الاستيطان أصدرت مرسوم أقرت فيه ضرائب على الأراضي الغير مستغلة مع إمكانية انتزاعها من أصحابها، بعدما وضعت عراقيل دون حياة الفلاحين الجزائريين على الوثائق اللازمة للحصول على تلك الأراضي على الرغم أنها من ممتلكاتهم، كما لجأت إلى قانون الإيجار الذي حدد ب 50 فرنك لكل هكتار صالح للزراعة.³

كما لجأت إلى ما يعرف بتقسيم الأراضي من خلال قانون 9 ارس 1863، حيث احتفظت بالقسم الأكبر من الأراضي للضباط، فنجد مثلا سكان قسنطينة كانوا يملكون مثلا حوالي 343387 هكتار وبعد إصدار هذا القانون بقي 282024 هكتار.⁴

1.2 سياسة الإدماج:

بعد سقوط الحكومة الفرنسية الثانية أمطرت باريس الجزائر بوابل من القرارات التي جاءت لخدمة مصالح فرنسا وأغراضها الاستعمارية والاستيطانية والتي وصل عددها إلى أكثر من 58 قرار، كان أهمها إلحاق الجزائر مباشرة بفرنسا بواسطة دمج شؤونها في وزارات حكومة فرنسا.⁵

كما قامت السلطات الفرنسية بتأسيس وزارة الجزائر والمستعمرات يوم 24 جوان 1858 التي أسندت مهامها إلى الأمير (جيروم نابليون)⁶ حيث قام بحصر الدوائر الإدارية جميعها في هذه الوزارة، حيث اعتبرا أنّ الجزائر مجرد امتداد لفرنسا، معتمدا في ذلك على لجان عليا للتسيير، قام باستحداثها لهذا الغرض.⁷

¹ - دليلة بوجناح، الفكر الاستعماري الفرنسي وتطوره خلال القرن 19 من خلال النظريات والممارسات، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ جامعة الجزائر 2010-2011، ص 14.

² - حميدة عمراوي وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية الاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1954، دار الهدى، الجزائر 2007، ص 42.

³ - جيلالي صاري، تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962، ترجمة قندوز عباد فوزية، طبعة خاصة دار غرناطة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2020، ص ص 32-33.

⁴ - الرجوع نفسه، ص 38.

⁵ - أبو القاسم سعد الله الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج 2، ط 4، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1992، ص 25.

⁶ - جيروم نابليون: هو ابن أصغر إخوة نابليون الأول، من المعادين للكنيسة ورجال الدين، ومن أهم مشجعي الاستعمار الأوروبي، عين وزيرا لوزارة الجزائر والمستعمرات في 24 جوان 1858. ينظر شارل أندري جوليان، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج 1، شركة دار الأمة الجزائر، 2008، ص 693.

⁷ - شارل روبري أجبيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، الطبعة الأولى، منشورات دار عويدات، بيروت لبنان، 1882، ص 55.

وقد حاولت فرنسا إدماج العدالة الإسلامية في العدالة الفرنسية، فقامت بإزالة صلاحيات السلطة العسكرية لتحقيق ذلك فلم تبقي إلا على منصب القيادة العليا للقوات البرية والبحرية التي أسندت مهامها إلى المارشال (ماكهمون)، وقد اجبر على التنازل على منصبه بعدما رأى (ماكهمون) فشل سياسة الأمير جيروم في الجزائر¹ وقد تم تعيين مكانه (شاسلو لوبا) الذي ظهرت عليه نفس إرادة تحقيق الإدماج، وذلك من خلال الإصلاحات القضائية التي جاء بها، حيث دعا إلى إلغاء القضاء الإسلامي والرجوع إلى المحاكم الفرنسية، الأمر الذي عرضه لعداء العسكريين لينتهي الأمر بإلغاء النظام تماما-وزارة الجزائر والمستعمرات بتاريخ 26 نوفمبر 1860 وتعويضه بإنشاء الحكومة العامة للجزائر في ديسمبر 1860² وعين بعد ذلك (المارشال بيلسي) حاكما عاما جديدا للجزائر، هذا الأخير الذي تمتع بسلطات واسعة أدخلته في صراع مع نابليون الثالث هذا الأخير الذي كان يدعي في كل مرة مساندته للجزائريين.³ فقد دعا إلى التعايش السلمي بين الجزائريين والمستوطنين الأوروبيين، وذلك ن خلال التمتع بنفس الحقوق والامتيازات في جميع المجالات، محاولا بذلك تحقيق أطماع فرنسا الاستعمارية في الجزائر⁴

1.3. تجنيس اليهود:

منذ أن وطأت أقدام فرنسا في الجزائر سارعت في إصدار مجموعة من المراسيم والقوانين التي تخدم مصالحها فلم تكتف بمحاولة تحقيق الإدماج وجعل الجزائر مملكة فرنسية بل نادى إلى، ضرورة تجنيس اليهود الفرنسية، حيث شجع قادة فرنسا على غرار نابليون الثالث الذي قام بزيارة إلى كل من الجزائر، وهران وقسنطينة التي أصدر مجلسها العام في سنة 1858 قرار يقضي بالتجنيس الجماعي لليهود.⁵

ولما تولى كريميو وزارة العدل قام بإصدار مرسوم 24 أكتوبر 1870 والذي يقضي بمنح الجنسية الفرنسية لليهود.⁶ وقد رأى كريميو في هذا المشروع الحلم الذي تحقق إذ أنّ تجنيس هذا العدد من اليهود حسب رأيه يعتبر مكسبا لفرنسا، يمكنها ن تعويض خسائر فرنسا في حربها ضد الألمان⁷ وذلك على الرغم من معارضة المعمرين والجزائريين له والمطالبة بإلغائه⁸ وكان من أهم ما حققه مشروع كريميو هو استحكام قبضة الإدارة الاستعمارية على الجزائر بسبب الانتشار الواسع لليهود وإطلاعهم بتفاصيل المجتمع الجزائري من جهة وارتقاء الأوضاع العامة لليهود من جهة أخرى.

2. أهم الثورات الشعبية التي سبقت ثورة المقراني:

¹ - شارل أندري جوليان، مرجع سابق، ص 56

² - المرجع نفسه، ص 57.

³ - أحمد عمراوي، من تاريخ الجزائر الحديث، الطبعة الأولى، دار الهدى الجزائر، 2004، ص 79.

⁴ - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري في الجزائر، عالم المعرفة الجزائر، 2004، ص 24.

⁵ - Luis forest, la naturalisation des juifs algérien a l'instruction de 1871, société française d'imprimerai et de libraire, paris, son date, p12.

⁶ - Gustave Raumet, l'antisémitisme algérien, bureaux de la petit république, paris, p18.

⁷ - محمد الوكيل، تاريخ اليهود في افريقيا، ج2، الطبعة 1، دار النهضة العربية، القاهرة، 2008، ص 162.

⁸ - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، المرجع السابق، ص 240.

سبقت فترة 1871 ظهور عدة مقاومات شعبية خاضها رجال دين وزوايا ومتصوفة والتي توحدت حول هدف واحد هو طرد العدو الفرنسي واسترجاع الحرية المسلوبة والتي تزايد نشاطها في منطقة القبائل والصحراء الكبرى

2.1 ثورة الزعاطشة:

تظافت جملة من العوامل لإشعال فتيل هذه الثورة، كانت أبرزها عجرفة وتصرفات الملازم سيروكا (**seroka**) حيث لاحظت السلطات الفرنسية نشاطا متزايدا للشيخ بوزيان، الذي استدعى رؤساء القبائل والاعراش فتوافدت عليه الوفود من كل جهة لتدارس الأوضاع ولتهيئة الشروط الضرورية للثورة، كجمع الأموال وشراء السلاح وتحزين المؤن.¹

واستطاع الشيخ بوزيان أن يقنع الجميع ويوحدهم تحت راية الدين الحنيف والجهاد المقدس، لكن الوالي العام ضابط المكاتب العربية، أمر بان يقبضوا على الثائرين الرافضين للاحتلال الفرنسي، لذلك قام الملازم سيروكا نائب قائد الكتب العربي ببسكرة بالتحرك نحو الزعاطشة والقبض على الشيخ بوزيان.²

وفي بسكرة قدم الملازم سيروكا تقريرا مفصلا الى القيادة العليا، أخبرها فيه بأن جميع السكان في واحة الزيبان مستعدون ويناصرون الثائر بوزيان، وأنّ الجهاد قد أعلن في المساجد والقرى.³

لذا سارع النقيب لاقرونيه (**lagrenee**) بإعطاء أوامر لشيخ العرب (بوعزيز بن قانة) بأن يجمع قواته ويحاصر بهم واحات الزعاطشة وفرفار وليشانة ويعزلهم عن باقي القرى ويمنع عنهم المدد، وكان النقيب بإجراءاته هذا يعتقد أنه سيحقق النتائج المرجوة لن تتوانى في طلب الأمان خاصة بعد وصول قوات الطابور الفرنسي الذي سيضع حدا لهذا الشغب⁴ وقد وصلت القوات الفرنسية الى الزعاطشة يوم 16 جويلية 1849 تحت قيادة العقيد كاربوشيا (**carbuccia**).⁵

وقد كان لثورة الزعاطشة نتائج كثيرة تمثلت أبرزها فيما يلي:

خسائر فادحة في الأرواح، حيث خربت الواحة بأكملها وعن آخرها، حيث أباد الجيش الفرنسي سكانها وقطع نخيلها وقد استطاع الاحتلال الفرنسي أن يفرض نفسه بقوة الحديد والنار وان يسيطر على كامل منطقة الزيبان، وهو بذلك وضع قدمه على أول عتبة الصحراء، لذلك تعتبر هذه المرحلة حاسمة في التوسع الاستعماري في الجزائر عامة وفي الصحراء الجزائرية على وجه الخصوص.⁶

2.2. ثورة منطقة القبائل: 1846-1857.

¹ - يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري في الجزائر، الرجوع السابق، ص24.

² - Le Commandant Soroka, le sud constantinois de 1830 a1855 in revue Africaine, N°56, 1912, p504.

³ - محمد العربي زبيري، مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي، الديوان الوطني للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972، ص53.

⁴ - Bouaziz Bengana, le cheikh el Arab, étude historique sur la famille Bengana Alger,1939 p115.

⁵ - Paul Azen, l'armée d'Afrique de 1830à1852, édition Plon, paris1936,p444.

⁶ - Charles -André Julien, histoire de l'Algérie contemporaine la conquête et le débuts de a coonisation1827-1871,deuxième édition, édition PUF, paris, 1979, p348.

كانت بلاد القبائل مستقلة عن الإدارة الفرنسية إلى غاية 1846، وهي السنة التي حولت فيها فرنسا أنظارها نحو المنطقة، فقد رأت فرنسا أنّ وجود منطقة مستقلة عنها يشكل خطراً عليها وتهديدا مباشرا لمصالحها، وذلك بسبب تخوف فرنسا من تمرد بلاد القبائل عليها حاولت إخضاعها منذ ولاية الجنرال (بيجو) عن طريق إرسال حملات عسكرية إلى بني عباس¹ التي باءت بالفشل والت دون تحقيق فرنسا لمطامعها وذلك بسبب صعوبة اختراقها نظرا لطبقة الجبال الوعرة وسالكها الصعبة² وكذا بروز قادة ثورين أمثال الشريف بوبغلة الذي أعلن الثورة في 10 مارس 1851 على زاوية (ايشلاتن) بسبب تمركز الاستعمار الفرنسي بها وقد انضمت إليه قبائل جديدة في المنطقة ساعدته في إلحاق الهزيمة بالقوات الفرنسية في معركة بوغنية 18 أوت 1851 مسببا تخوف الفرنسيين ما جعلهم يرسلون فرق عسكرية لمحاصرة المنطقة بقيادة الجنرال (بيلسيه) لامتصاص غضب الفرنسيين بسبب الهزائم المتتالية³، حيث تمكنت القوات الفرنسية من احتلال قرية (بيزيت) وهي التي ل يستطع الاحتلال الفرنسي الوصول إليه في الكثير من المحاولات لصعوبة مسالكها، وهو نفس اليوم الذي قاموا فيه بإحراق 29 قرية، الأمر الذي أجبر سكان باق القبائل على الاستسلام على غرار (المعاققة) و(الفيلتة) في 27 نوفمبر 1851 وانسحب (بو بغلة) إلى واد الساحل قبل أن يلتجأ إلى جرجرة⁴ ليمنى بهزيمة أخرى في 25 جانفي 1852 وذلك أثناء محاولته فتح الطريق بين القصر وبجاية ما جعله يتوقف عن نشاطه إلى غاية سنة 1853.⁵

ولا يكن الحديث على ثورات القبائل دو الرجوع إلى ثورة لالة فاطمة نسومر، حيث اعتبرت فرنسا أن الثورة في بلاد القبائل قد انتهت بقتل بوبغلة، ما يمكنها بسط سيطرتها على جميع مناطق الجزائر، لكن ظهور حركات جهادية أخرى قادها زعماء بلاد القبائل حالت دون تحقيق فرنسا لمطامعها الاستعمارية على غرار (لالة فاطمة نسومر) التي دعت للجهاد والدفاع عن الشرف واسترجاع الحرية باسم الإسلام، وقد التف حولها زعماء المناطق الجاورة ما جعلها تلحق عدة هزائم بالجيش الفرنسي على غرار معركة (ايشريغن) الشهيرة بتاريخ 24 جوان 1857 قرب قرية الأربعاء ناثيرائن.⁶

لكن إصرار الرائد (رندون) على بسط نفوذه على منطقة القبائل جعله يقود حملة قوامها 35 ألف جندي تمكن من خلالها من إلحاق الهزيمة بفاطمة نسومر وأتباعها⁷ واسحابها إلى تابلايط قبل أن يلقي عليها القبض في 27 جويلية 1857 بمنطقة تيرودة وسجنها إلى غاية وفاتها عام 1863 ببني سليمان وعمرها ثلاثة وثلاثون سنة.⁸

2.3. ثورة أولاد سيدي الشيخ :

¹ - المهدي بو العبدلي ، ثورة الشريف بوبغلة ، المؤسسة الوطنية للفنون ، الجزائر ، 1985، ص 9

² - محمد الشريف ولد الحسين ، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال 1830 - 1962، دار القصة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2012، ص 24.

³ - المرجع نفسه، ص 18 .

⁴ - محفوظ قداش ، جزائر الجزائريين ، ترجمة محمد المعراجي ، المؤسسة الوطنية للاتصال ، الجزائر ، 2008، ص 138.

⁵ - يحي بو عزيز ، ثورات الجزائر بين القرنين التاسع عشر والعشرين ، ج 1، الطبعة 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ص 117.

⁶ - الرجع نفسه، ص 129.

⁷ - محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 140.

⁸ - محمد الشريف ولد لحسن، المرجع السابق، ص 18.

استقر أولاد سيدي الشيخ في منطقة الجنوب الوهراني منذ مطلع القرن 16م، وقد اندلعت ثورتهم في مارس 1864 وذلك بسبب سياسة فرنسا التعسفية تجاه سكان المنطقة¹ حيث لجأت الحكومة الفرنسية لفرض ضرائب باهظة على السكان ومصادرة جميع ممتلكاتهم، وذلك لإضعاف مركز أولاد سيدي الشيخ وافتقارهم ماديا وإجبارهم لتقديم الولاء لفرنسا² وقد استغل الشيخ سي سليمان القائد العام للمنطقة (بوبريتز) الذي كان منشغلا في إخضاع بعض المتمردين والعصاة في مدينة تيارت ليعلن الثورة في مارس عام 1864.³

وقد سارع جميع قبائل المنطقة في الانضمام إلى ثورة أولاد سيدي الشيخ، حتى أن قائد الثورة سي سليمان استطاع إقناع حتى القبائل الموالية لفرنسا في التحالف معه⁴

لكن انتصار أولاد سيدي الشيخ لم يدم طويلا، فقد أرسلت فرنسا حملة في 4 فيفري 1865 بقيادة الجنرال دوليني.⁵

3. ثورة المقراني 1971:

3.1. أسباب قيام ثورة المقراني:

كان لقيام ثورة الباشاغا القراني 1871 أسباب عامة منها وخاصة، أما الخاصة فتتعلق بشخص الباشاغا والتي تتمثل في تعرضه لمضايقات متكررة أمدن طوال سبعة عشر سنة تقريبا، فعند تقلده لمنصب الباشا أغوية سارعت فرنسا إلى حديد سلطته وتقليص نفوذه التي كان يتمتع بها كقائد للمنطقة قبل أن يتقلد المنصب⁶

فقد رفض المقراني قرارات فرنسا المجحفة في حقه، خاصة بعدما وضعته تحت رقابة ضابط صغير برتبة نقيب، وهو النقيب (مارمي) الذي طالب من الباشاغا بأن يحول أموال الضرائب التي يستخلصها من السكان إلى خزينة دولة الفرنسية⁷

وفي سنة 1868 أسست الحكومة الفرنسية بلدية برج بوعرييج وعينت الملازم أوليفي رئيسا عليها، أما المقراني فاقصر الأمر على تعيينه عضوا بسيطا في مجلسها البلدي، وبهذه الطريقة نجحت فرنسا في التقليص من نفوذ المقرانيين مما استوجب من المقراني إيجاد وسيلة يتمكن من خلالها استرجاع أجداد آل مقران وهي إعلان الجهاد⁸

¹ - بشي بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، دار المعرفة الجزائر، 2004، ص 130

² - ابراهيم مياسي، قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، الطبعة 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 2020

³ - كارل بروكمان، تريخ الشعوب الاسلامية، الطبعة 5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1968، ص 627.

⁴ - محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 195.

⁵ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 190، 195.

⁶ - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص 234.

⁷ - الصادق داودي، المبعدون إلى كليدوني الجديدة، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 49.

⁸ - مزيان وشن، مجانة عاصمة إمارة المقرانيين، دار الكتاب العربي الجزائر، 2010، ص 135.

يعد مرسوم كريميو من أهم العوامل التي عجلت بتفجير ثورة المقراني حيث اعتبر المقراني تجنيس اليهود سيمنحهم صلاحيات أوسع على حساب الجزائريين المسلمين، جعله يعلن عداوته الطلقة لليهود، فجاءت قوله المشهورة "اني مستعد أن أضع رقبتني تحت السيف ليقطع رأسي ولكن لا اقبل أن اخضع لحكومة التجار اليهود"¹

حيث اعتبر المقراني مشروع كريميو من اخطر المشاريع التي جاءت بها الحكومة الفرنسية إذ جاء على لسانه في إحدى المناسبات مستنكرا وساخا على الفرنسيين في رسالة الى الجنرال (اوغيرود) "لن أقبل بجمهوريةكم فمنذ قيامها وأنا أشاهد أمور مريعة"²

كما كان لمجاعة 1867 أثرا صعبا على الجزائريين أثر أصعب على القادة الذين فشلوا في إيجاد الحلول المناسبة للتقليل ن تلك الأضرار التي اشتدت تداعياتها خلال سنتي 1869-1870، حيث أدت إلى ضعف الإنتاج الفلاحي في البلاد وخاصة منطقة المقراني التي تعرضت لهجمات متكررة للجراد.³

الأمر الذي دفع المقراني لاقتراض، لكنه لم يستطع التسديد، حيث سارعت بعض المؤسسات في رفع شكاوى ضد المقراني تطالب فيها باسترجاع أولها وما ساهم في تدهور وضع الباش أغا هو احتساب مصاريف التقاضي عليه والتي بلغت قيمتها ثمانية آلاف فرنك ما زاد في ارتفاع ديونه التي بلغت إجمالا مليون ثمانمائة فرنك فرنسي.⁴

فقد بدأت تتوالى على الباشاغا المقراني إشعارات الإنذار من بنك الجزائر والشركة العامة الجزائرية الذين طالبوه بتقديم طلبات جديدة وموثوقة، ما جعل الباش أغا يعيش في ضائقة مالية حادة.⁵

3.2. اندلاع ثورة المقراني ومراحل سيرها:

عقد المقراني اجتماعات متواصلة في الفترة الممتدة ما بين 10 و 14 مارس مع رجال عائلته وكبار قواده، حيث كان الاجتماع الذي عقد بتاريخ 14 مارس المنطلق الحقيقي للثورة واتي بدأت بتجمع محمد المقراني في مجانية يوم 15 مارس 1871 مدعما بجيش ن الجاهدين الذين جاءوا من كل صوب للمشاركة في الثورة والذين بلغ عددهم ستة آلاف مقاتل بعد يوم واحد من إعلان الثورة.⁶ وبعد أربعة أيام من حصار مدينة برج بوعريريج بدا الثوار بتلغيم أسوار المدينة لاقتحامها، لكن لأهداف المقراني لم تتحقق بسبب صمود القوات الفرنسية ا جعل المقراني ينسحب إلى جبل مرسيان بمجانة.⁷

¹ - لويس راين تاريخ انتفاضة 1871 في الجزائر، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2013، ص 97، 99.

² - شارل روبير أجبرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871-1919، ج1، ترجمة حاج مسعود، دار راند للكتاب، الجزائر، 2007، ص3.

³ - لويس راين، مصدر سابق، ص 50، 51.

⁴ - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 478-479.

⁵ - لويس راين، مصدر سابق، ص 51.

⁶ - يحي بوعزيز ثورات الجزائر، المرجع السابق، ص239.

⁷ - مزيان وشن، المرجع السابق، ص 155، 156.

وبعد أنّ دعم المقراني جبهته، كلف أحد قادته وهو محمد الصغير بن الشيخ للتوجه نحو منطقة رأس الواد وذلك لقطع الطريق أمام قافلة فرنسية، حيث نجح في معركة فاصلة كان لها أثرها الايجابي في انتشار الثورة، حيث تكن الثوار من بلوغ مشارف مدينة سطيف.¹

لكن بعد فشل المقراني في إخضاع منطقة البويرة وكذا الإطاحة بزعيمها الأغا بوزيد انسحب مع قواته التي بلغ عددها أزيد من ثمانية آلاف مقاتل متجها الى واد سفلات حيث أقام معسكر في منطقة واد الرخام.²

لكن القوات الفرنسية وصلت إلى منطقة غير بعيدة عن معسكر محمد المقراني يوم 5 ماي 1871 مودلك بعد وشاية من الباش أغا بوزيد، فوقعت اشتباكات بين الطرفين منذ الفجر استمرت الى غاية منتصف النهار لنفس اليوم، وانتهت باستشهاد محمد المقراني بعد طعنه من قبل احد جنود الزواف في جبهته واروده قتيلا في منطقة وادي السفلات يوم الخامس ماي 1871 م خلفا بعده قائدا جديدا للثورة هو محمد بومزراق.³

3.3. نتائجها:

بعد انتهاء ثورة المقراني وتحكم المستعمر الفرنسي في الوضع جاء دور الانتقام الاعمى من السكان الأبرياء العزل، فسلط عليهم شتى أنواع العذاب والتنكيل والمصادرة والإعدام والنفي⁴، تنصيب محاكم وهمية أصدرت حكم الإعدام في حق الإخوة الخمسة للمقراني وابنه والنفي إلى شبه جزيرة كليدونيا الجديدة⁵، فبقوا على غاية السماح لابنه بدخول الجزائر سنة 1927م⁶.

ولم ترحم العدالة الفرنسية الشيخ الحداد رغم كبر سنه حيث تجاوز الثلاثة وثمانين سنة فحكم عليه بالسجن الانفرادي يوم 19 أبريل 1873 لمدة 5 سنوات إلا توفي في سجنه في 29 أبريل من نفس السنة أي بعد 10 أيام فقط قضاها في زنزانته⁷.

بالإضافة إلى مصادرة العقارات المنقولة والغير منقولة حيث طبقت السلطات الاستعمارية الفرنسية بأرض الجزائر قانون المسؤولية الجماعية في إطار قانون الأهالي الإجرامي فطبق ما سمي الحجز الجماعي لممتلكات الجزائريين فتم حجز أراضي العرش التابعة لـ 315 قبيلة، وفي 25 مارس 1871 جاء قرار السيد لاكسيس لامبير **Lexis Lambert** لحجز ممتلكات المقراني والقبائل المساعدة له وتشكلت لجنة ترأسها السيد ماريا **Marion** رئيس فرقة المحكمة⁸.

¹ - المرجع نفسه، ص 162، 163.

² - ملود قايد ثورة 1871 ونتائجها، مجلة الأصاله، العدد 23، 1975، ص 56، 57.

³ - يحي بوعزيز، ثورة الباش اغا محمد المقراني ويليهِ مواقف العائلات الارستقراطية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1994، ص 226.

⁴ - Louis Rin, Marabout et khouans, étude sur l'islam en Algérie, édition Adolphe Jourdan, Alger, 1884, p112.

⁵ - IDEM.

⁶ - Francine de saigne, Bordj Bou Arreridj, l'insurrection de 1871, édition de L'Atlantrophe, paris, 1988, p53.

⁷ - Francine de saigne, op, cit, p 53.

⁸ - Louis Rin, régime pénale de l'indigénat en Algérie, le séquestre et la responsabilité collective, édition Adolphe Jourdan, Alger, 1880, p36.

كما تعرضت منطقة القبائل إلى محاولة تمسيح المنطقة من خلال تشجيع بناء الكنائس فظهر مجهود تنصيري رهيب في مطلع 1873¹.

● خاتمة:

انطلاقا مما سبق نخلص إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- تضافرت جملة من العوامل والأسباب ما بين سياسية واقتصادية واجتماعية أدت في الأخير إلى بروز مجموعة من المقاومات الشعبية من بينها: ثورة المقراني سنة 1871م.
- انتشار مقاومة المقراني خارج أسوار قلعة بني عباس بعدما استطاع البشاغا استمالة زعماء الأسر الكبرى خاصة في بايلك الشرق وكذا رجال الدين على غرار الشيخ الحداد.
- بروز مبدأ القيادة الجماعية للثورة وذلك بعد انضمام أحمد بومزراق شقيق الباش آغا محمد المقراني الذي قالت عنه السلطات الاستعمارية أنه القائد الحقيقي لثورة 1871.
- تحول المقاومة من طابعها الاستقرائي إلى عامة الشعب فبعد ما كانت تقتصر على بعض زعماء العائلات الكبرى أصبح يقودها عمال وفلاحين بسطاء.
- سبب فشل مقاومة امقراني يرجع بالدرجة الأولى إلى نقص الإمداد المادي من جهة وولاء زعماء القبائل لفرنسا أمثال بلبوزيد والذي كانت أثارها وخيمة على قادة الثورة وعلى عامة الشعب بعدما قامت فرنسا بتجريدهم ممتلكاتهم وإبعادهم عن أراضيهم.
- على الرغم من الاخفاقات التي عرفتتها ثورة امقراني إلا أنها أصبحت تمثل مرجعية لثورات عديدة لاحقة.

¹ -Francine de saigne ,op.cit, p90.